مقاصد الخطاب في ضوء نظرية الاستلزام الحواري
تحليل نماذج من رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق*

Intentionality of discourse in the light of the theory of conversational implicatures

Analysis of samples from the novel "Taa' al-Khadjal" by Fadhila El Farouk

د. كايسة عليك

جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية

مخبر التأويل وتحليل الخطاب

elkaissa.alik@univ-bejaia.dz

ملخص

تشكل مقاصد الكلام موضوعا جوهريا يستقطب اهتمام الدّارسين وتسعى وراءه علوم كثيرة (كالفلسفة، والتداولية، والعلوم العرفانية...) لِما للمقاصد من أثر وأهمية عظمى في فهم أقوال المتكلمين، ومعرفة طريقة تفكيرهم، ويُعتبر التواصل أساس إنتاج المقاصد ونقلها واستقبالها وتأويلها.

وقد كان التداوليون أكثر وعيا بأهمية مقاصد الأفعال اللغوية وما يعنيه المتكلم بملفوظاته في سياقات معينة، فربطوا ذلك بعاملين أساسيين، يتعلّق الأول بالجانب اللغوي المحض الذي يقدّم لنا جزءا من المعنى، ويرتبط الثاني بالعمليات المعرفية التي تحدث في الذهن البشري، وهي عوامل ذات صلة بعوامل خارجية عن اللغة، وقد مهدت دراسات هربرت بول غرايس (Herbert Paul Grice) لهذا التفكير من خلال عنايته بالمعنى غير الطبيعي، والمعنى الضمني، والاستلزام الحواري، ممّا أدى به إلى وضع حكم المحادثة، وتبيان أنّ هذه الأخيرة يحكمها مبدأ عام يسمى

تاريخ استلام البحث: 2023/03/30	تاريخ قبول البحث: 22/ 04/ 2022	تاريخ النشر:15 /2023/05

مبدأ التعاون.

وتروم هذه الورقة البحثية توضيح كيفية تفسير غرايس لآليات تأويل المتلقي لمقاصد المتكلم، وكيفية الاستدلال على المعنى الذي يستلزمه المتكلم حين يخترق قواعد الحوار ليُؤّثِر في المتلقين، وسيتمّ تجلية ذلك من خلال تحليل نماذج من رواية "تاء الخجل" للروائية الجزائرية فضيلة الفاروق.

الكلمات المفاتيح: الاستلزام الحواري، المقاصد، المعنى الضمني، الاستدلال، قواعد الحوار

Abstract

Intentions of speech constitute a fundamental topic that attracts the attention of scholars and is pursued by many sciences (such as philosophy, pragmatics, and cognitive sciences...) because of the great impact and importance of intentions in understanding the sayings of speakers, and knowing their way of thinking., Communication is considered as the basis for producing, transmitting, receiving and interpreting intentions.

The pragmatists were particularly aware of the importance of the intent of linguistic acts and what the speaker meant by his utterances in certain contexts, so they linked that to two basic factors; The first is related to the purely linguistic aspect that provides us with a part of the meaning, and the second is related to the cognitive processes that occur in the human mind, which are factors related to factors external to language. Herbert Paul Grice's studies paved the way for this thinking through his care for the unnatural meaning, the implicite meaning, and the conversational implicatures, which led him to establish the rule of conversation, and to show that the latter is governed by a general principle called the principle of cooperation.

This paper aims to explain how Grice explains the mechanisms of interpretation by the recipient of the speaker's intentions, and how to infer the meaning required by the speaker when he breaches the rules of dialogue in order to influence the recipients.

Keywords: dialogue imperative, purposes, implied meaning, inference, rules of dialogue

مقدمة

يُعتبر النص الأدبي وسيلة تواصل بين المبدع والمتلقي، حيث يقوم الأوّل بتشفير رسالته الإبداعية باعتماد رموز معيّنة، ويعمل الثاني على تفكيك شفرة تلك الرسالة.

ومن سمات النص الأدبي احتوائه على أساليب فنية يروم المبدع من خلالها إحداث تأثير في نفسية المتلقي، وعليه، فإنّ الكلمات باعتبارها مادة للأدب (تحمل دلالتين هما: دلالة مباشرة، وهي الدلالة المعجمية للكلمة كما اصطلح عليها أهل اللغة، ودلالة غير مباشرة، وهي المعنى الشعوري أو الإيحائي الذي تثيره في نفس المتلقي)[1]، وتزخر النصوص الأدبية بالمعاني المجازية والصور الجمالية التي لا يمكن تفسيرها إلاّ بحسب السياقات التي ترد فيها، وبناءً على ذلك، نستهدف من خلال هذه الدراسة الإجابة عن التساؤل التالي:

- ما تصوّر العالم (غرايس) لمسالك تأويل المتلقي لمقاصد المبدع في النّص، لاسيما النّص الأدبي؟ وسيتمّ تدعيم ذلك بتحليل نماذج من رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق، نظرا لما يزخر به هذا النص الإبداعي من وظائف تداولية ذات أبعاد اجتماعية وثقافية وإيديولوجية... إلخ، وما يحمله من دلالات حرفية وأخرى ضمنية، ورسائل يكتنفها الغموض ويكثر فيها التلميح والتضمين والإضمار والانزياحات، تستهدف الأديبة، من خلالها، التأثير في القارئ الذي يضطرّ إلى تفكيك تلك الرسائل وتأويل مضامينها للكشف عن مقاصدها.

1- مقاربة الاستلزام الحواري عند غرايس

نشأت فكرة الاستلزام الحواري عند اللساني التداولي بول غرايس، قصد الكشف عن كيفية فهم أكثر ممّا يقال، إذ لا حظ هذا العالم أنّ المتكلّمين في تبادلاتهم (قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كلّ همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال what is said وما يُقصد what is meant، فما يُقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات، بقيّمها اللفظية، وما يُقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أنّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال)[2]. تقول فضيلة الفاروق في روايتها:

(حين بلغتْ موجةُ اغتيالِ الصحافيّين ذروتَها، أدركنا جميعًا أنّ بابَ الحديدِ الذي نغلقُ به مقرَّ الجريدة لن يحمينا ما دمنا مشتتين)[3]، فالمعنى الحرفي للقول السابق هو أنّ "باب الحديد" الذي يُغلق به مقرّ الصحافة لحماية الصحفيين لم يعد قادرا على أداء مهتمه [وهي تتحدّث عن أوقات عصيبة عاشتها الجزائر خلال العشرية السوداء] بعد امتداد الخلافات السياسية بين الأحزاب إلى أعضاء المقرّ، وتحوّل هذا الأخير إلى مؤسسة من الأعداء، ممّا ساعد الإرهاب على التمادي في قتل الصحفيين. لكن الأديبة تقصد وراء هذا الكلام معنى غير مصرح به، وهو تأكيدها أنّ في الاتّحاد قوة، وأنّ الخلاف والتشتت ورفض الآخر مآله الضعف والهزيمة، وغرضها تحذير غير مصرح به من النزاعات الدينية والسياسية التي تدمّر الأخوّة بين الأفراد وتمزّق النسيج الاجتماعي، وقد يؤدي ذلك إلى القتال والحروب الأهلية.

تمكنت الأديبة فضيلة الفاروق، من خلال الرسائل التي ضمنتها مقاصد كثيرة في روايتها "تاء الخجل" أن تنقل الآلام التي عاشها الجزائريون في فترة التسعينيات بسبب بشاعة الجرائم التي ارتكبتها الجبهة الإسلامية للإنقاذ في حقّ الصحفيين والمثقفين بصفة عامة، وقد دفعت النساء، خلال تلك الفترة، الثمن غاليا باسم الإسلام، وعليه، فإنّ الرواية تحمل معان عميقة ومؤثرة.

إنّ الوصول إلى نوايا المتكلم، من المنظور السابق، يكون انطلاقا من المعنى الحرفي للملفوظ، أضف إلى ذلك العمليات الاستدلالية التي تحدث في ذهن المتلقي ومعطيات السياق، وترتبط نظرية الاستلزام احواري عند غرايس، بما يلي:

1– 1- المقصدية: يشكّل القصد والقصدية والمقصدية محور مباحث التداولية كلّها، كنظرية أفعال الكلام، ونظرية الاستلزام الحواري، والملفوظية، وغيرها من المباحث التي تروم الكشف عن **الغاية والوظيفة** المستهدفة من النّصوص والخطابات، وبيان المقاصد التي يسعى المتكلمون لتحقيقها من ملفوظاتهم.

لا تظهر المقصدية، في الغالب، على سطح الخطاب، بل تختفي وراءه، حيث يكني المتكلمون وراء ملفوظاتهم معاني مجازية مسكوتا عنها، وهي (تكسب الكلام دينامية وحركة، بل هي منطلق الدينامية)[4]، فحين يوظّف المتكلمون العاديون أو والمبدعون في خطابتهم أفعالا كلامية للدلالة على

مقاصد معيّنة، فإنّ المتلقي يفهمها إمّا بطريقة مباشرة أو عن طريق التلميح والإضمار، فيعمل على تأويلها تأويلا مناسبا.

ويركز غرايس في توضيح مسألة تأويل المقاصد على الأفعال اللغوية غير المباشرة، بحثا عن القوة الإنجازية المستلزمة فيها والتي تُدرك من خلال السياق غير اللغوي الذي تُنتج فيه، هذا خلافا للقوة الإنجازية الحرفية التي نستشفها من المقال، دون حاجة إلى معرفة المقام الذي يرد فيه الفعل اللغوي.

1– 2- **الدلالة غير الطبيعية**: يرتبط مفهوم "القصدية" عند غرايس بمفهوم "المعنى غير الطبيعي" الذي يختلف عن المعنى الطبيعي، هذا الأخير يتمثّل في (ظواهر وُضعت في علاقة مع أعراضها أو نتائجها)[5]، كدلالة احمرار الوجه على الخجل، ودلالة الغيوم على سقوط الأمطار، والدخان على وجود النار... وغير ذلك من الدلالات التي لا ترتبط بنوايا المتكلم ومقاصده، فلم يكن ارتباط احمرار الوجه بالخجل نتيجة تأويل المتلقي، مثال على ذلك:

(**... أخْرَجَ البائعُ الساعة المسروقة من جيب الفتاة، فاحمّر وجهها خجلا**).

جاءت كلمة "احمرّ" لتستدل على الخجل، فالاحمرار لا يحمل أي قصد في هذا الملفوظ، بل هو دلالة على الخجل ومرتبط به طبيعيا، ولا يحمل غرضا تواصليا معيّنا. كذلك جاء في رواية تاء الخجل: (**منذ جدّتي التي ظلت مشلولة نصف قرن من الزمن، إثر الضربِ المبرح الذي تعرضتْ له من أخي زوجها، وصفّقتْ له القبيلةُ وأغمض القانونُ عنه عينيه**)[6]، فالعلاقة بين لفظة (الشّلل) وعبارة (الضرب المبرح) غير مرتبطة بمقاصد المتكلم وبتأويلاته، بل هي علاقة طبيعية، فلفظة (الشلل) في هذا السياق لا تحمل غرضا تواصليا، بل تستدلّ على (الضرب المبرح).

أمّا قولها (**وصفّقت له القبيلة وأغمض القانون عنه عينيه**) فإنّ قصدها هو تواطؤ كلّ من المجتمع والقانون مع ما تعرّضت له الجدة (والمرأة الجزائرية بصفة عامة) من الضرب والعنف والإيذاء الجسدي، وهي دلالة غير طبيعية نتجت عن تأويل المتلقي لخطاب المتكلّم، حيث عند القول إنّ (القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معيّنة، فذلك يعني أنّ هذا القائل كان ينوي وهو يتلفّظ

بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا المخاطب لنيّته)[7]، وهو المعنى المعتمد في التواصل.

إنّ العنصر المهم في الخطاب، بالنسبة لـ(غرايس)، هو مقاصد المتكلم واستدلال المتلقي عليها، وبما أنّ نظريته حول المعنى غير الطبيعي هي (نظرية في التواصل، فلا بدّ أن تبيّن لنا كيفية التواصل في غياب الوسائل العرفية المتواضع عليها للتعبير عن المقاصد، ومن المفروض أن تبيّن وتفسر لنا كيف يمكن أن نبلّغ ونعني (بالمعنى اللاّطبيعي) أكثر ممّا نقوله فعلا)[8]، أي أكثر ممّا نعبّر عنه حرفيا بالمعنى المتواضع عليه للملفوظات اللغوية، وبذلك يميّز (غرايس) بين المعنى الوضعي وهو المعنى المصرّح به في الكلام، والمعنى المستلزم حواريا، وهو المعنى المرتبط بمقام الحديث. تقول الأديبة على لسان بطلة الرواية "خالدة" حين عادت من المستشفى بعد عيادتها لإحدى النساء اللواتي تعرّضن للتعذيب إثر اختطافهن من قِبل الإرهابيين:

(كانتْ قدْ ازدَادَت شُحُوبًا.

شعرتُ أنّ الموتَ يركضُ إليْها مُسْتَعجِلاً).

إنّ الفعل اللغوي الأوّل (كانت قد ازدادت شحوبا) يحمل دلالة مباشرة متواضع عليها، يمكن الاستدلال على ذلك ببنية الفعل اللغوي التي لا يستدعي تفسيرها مقاما معيّنا، وإنّما نكتفي بالقول لفهم أنّ "خالدة" تخبرنا أنّ المريضة ضعيفة الجسم، وأنّ نضارتها قد ذَبُلت، حيث ينطبق هذا الفعل على المحتوى القضوي الذي يستهدف الوصف والإخبار، ولا يحمل معنى قصديا، بل يؤدي المعنى الحرفي فقط. أمّا قولها (**شعرت أنّ الموت يركض إليها مستعجلا**) فهو ملفوظ وصفي تعبيري غير مباشر يحيل على معنى مضمر، وهو التأكيد بأنّ الحالة الصحية للمريضة متدهورة وآجالها يقترب، وهي قوة إنجازية مستلزمة.

1– 3- نظرية أفعال الكلام

تبيّن ممّا سبق أنّ نظرية الاستلزام الحواري عند (غرايس) ترتبط بنظرية أفعال الكلام التي أسسها (أوستين) وطوّرها (سيرل) وآخرون، حيث (ينتقل الكلام من نطاق حرفي وقضوي مباشر إلى معنى حواري استلزامي غير مباشر، ويتحكّم به المقام أو السياق التداولي)[9]، فقد ربط بول (غرايس) مفاهيم وأسس نظرية أفعال الكلام بنظريته في الاستلزام الحواري، لاسيما مصطلحي:

(الفعل القضوي) و(الفعل الإنجازي)، ليصوغ من خلالهما مبدأ التعاون، مركّزا على المعنى القضوي المباشر والحرفي للجمل (التي تتوفّر على القوة الإنجازية الحرفية) ومعناها الإنجازي التلميحي الذي يستشفه المتلقي من سياق الكلام، حيث إنّ الملفوظات اللّغوية غالبا ما تخرج عن محتواها القضوي إلى معاني إنجازية سياقية، وهذه الأخيرة يسميها غرايس بالاستلزام الحواري.

تقول بطلة الرواية "خالدة": (**أَتَذْكُرُ(...) كيف غادرْنا بستانَ الأشواك بعد البكالوريا؟ سافرتَ إلى العاصمة، وأنا سافرتُ إلى قسنطينة. لم أكن أعلم يومها أنّني سلّمت نفسي لقدر تختلف دروبه عن دروبك**)[10]. فالفعلان اللغويان: "سافرتَ إلى العاصمة"، و"أنا سافرتُ إلى قسنطينة"، ملفوظان لغويان مباشران، يدلان على التقرير والإخبار والإثبات، لا يحملان معاني وظيفية، فبعد الباكالويا هو ذهب إلى العاصمة وهي إلى قسنطينة، أمّا الفعل اللغوي الأخير: (**لم أكن أعلم يومها أنّني سلّمت نفسي لقدر تختلف دروبه عن دروبك**)، فهو فعل كلام إنجازي، وظيفته الإنجازية هي التقرير والإخبار وغرضه التداولي هو الحسرة والنّدم على اليوم الذي قرّرا فيه، هي وصديقها، مواصلة كلّ منهما دراسته بعيدا عن الآخر، فهو تقرير يحيل إلى عتاب النّفس ولومها، حيث ندمت على اللحظة التي اعتقدت فيها أنّ الحصول على الباكالوريا هو مفتاح الفرج ومرحلة تخطي المشاكل والصعاب التي طالما واجهتها بسبب علاقتها بنصر الدين.

إنّ الأفعال الإنجازية (أو الضمنية) هي أفعال يقصد منها المتكلم شيئا غير المعنى الحرفي لها، فهي ذات قوى إنجازية مختلفة عن أغراضها التداولية، كالتقرير والتأكيد في النموذج الأخير، الذي يُقصد من ورائه العتاب والحسرة، فالأمر هنا يتعلّق بقول شيء وفهم شيء آخر، ويستدلّ السامع على المقصود (معنى المتكلم) باعتماد قدراته الاستنتاجية ومعطيات السياق. وتشكّل المعاني غير المباشرة محور اهتمام (غرايس)، فسماها الاستلزام الحواري، تتغيّر تلك المعاني بتغيّر السياقات، إذ يمكن للفعل الكلامي الذي تكون قوته الإنجازية الحرفية الإخبار أن يستلزم معنى مقاميا (وهو الذي يقصده المتكلم) كالرفض، أو اللوم، أو النّدم، يستدلّ عليه المتكلّم بالاعتماد على سياق الكلام ومعارفه السابقة وقدراته الذهنية على الاستدلال.

وبناء على ما سبق، فإنّ معنى الملفوظ بالنسبة لـ(غرايس)، لا يكمن في محتواه اللغوي فحسب، لأنّ (المواضعة اللسانية لا تسمح وحدها باسترجاع مقصدية المتكلم في حرفيتها، الأمر الذي يستدعي سيرورات استدلالية تسمح بالتأويل الكامل للملفوظ)[11]، فالتواصل، من هذا المنظور، لا يقوم على المواضعة اللسانية فحسب، بل يرتبط بالعمليات الاستدلالية التي يقوم بها المتخاطبون لينتجوا ويؤوّلوا ملفوظات بعضهم البعض، وبذلك انشغل غرايس بتفسير العمليات الاستدلالية التي تعتبر أساسية في إنتاج وتأويل الملفوظات أثناء التواصل.

2- قواعد الحوار

تبين ممّا تمّ تقديمه أنّ ما يسعى إليه (غرايس) هو توضيح (كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا وعني شيئا آخر؟ ثمّ كيف يكون ممكنا أيضا أن يسمع شيئا ويفهم شيئا آخر؟)[12]، ممّا دفعه إلى القول بمبدأ حواري عام مشترك بين المتكلم والمتلقي، وهو مبدأ التعاون (COOPERATIVE PRINCIPLE)، الذي يهتدي به المتخاطبون لتأويل مقاصد الكلام، هذا المبدأ يقتضي أنّ (المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ التعاون. فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كلّ واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير تأويل أقواله)[13]، وصاغ (غرايس) هذا المبدأ بالشكل التالي: (لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لما يتطلبه منك – في المرحلة التي تجري فيها – ما تمّ ارتضاؤه من أهداف أو وجهة للمحاورة التي اشتركت فيها)[14]، يتعلق الأمر بالنسبة لـ(غرايس) بالاستلزام التخاطبي، حيث لا يستوفي المعنى العرفي للقول تأويله، بل هناك استلزام حواري يبلغ المتكلم من خلاله أكثر مما يقول، ممّا يقتضي تدخل عوامل أخرى لتأويل ذلك القول، إذ ليست قواعد المحادثة (مجرّد معايير ينبغي للمُخاطبين إتباعها فحسب، بل تمثل ما ينتظرونه من مُخاطبيهم، فهي مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد معيارية أو قواعد سلوك. وعلى هذا تنخرط قواعد المحادثة بوضوح في التيار المعرفي، خلافا للقواعد المعيارية)[15]، بمعنى أنّ مهمة المتلقي تكمن في وضع فرضيات لتفسير انتهاك المتكلم لقاعدة أو أكثر من قواعد الحوار، لأن التأويل عند المتلقي ينشأ نتيجة انتهاك قاعدة، وتتمثل هذه القواعد، كما وضعها (غرايس)، فيما يلي[16]:

- قاعدة الكيف: لتكن مساهمتك متوفّرة على قدر من المعلومات يساوي ما هو مطلوب ولا يفوقه.

- قاعدة الكيف: لتكن مساهمتك في هذا الموضوع صادقة، فلا تقول ما تعتقد أنّه كاذب، ولا تقل ما تفتقر الحجّة الكافية إليه.

- قاعدة الملاءمة (أو النسبة أو الصلة): قل ما هو مناسب وملاءم وله صلة بالموضوع؟

- قاعدة الطريقة: لتكن واضحا، وتجنب اللبس وغموض العبارة، وأوجز وكن منظّما.

ويرى (غرايس) أنّ المتكلّمين يتصرّفون إجمالا وبصفة تقريبية (وليس مطلقة) وفق ما تنصّ عليه هذه القواعد، وأنّ احترام مبدأ التعاون وقواعد الحوار سلوك اعتدنا عليه منذ الطفولة[17]، وهذا الاحترام أمر معقول ومنطقي، فإذا كان المتكلمون يطيعون القواعد، فإنّ كلامهم يكون صريحا، أمّا إذا اخترقوا قاعدة أو أكثر ينشأ عن ذلك المعنى الضمني، فيتولّد ما يسميه (غرايس) استلزاما، ويتمّ الاستدلال عليه باستغلال القواعد السابقة، وهذه القواعد التي نخترقها على المستوى السطحي، نحن نعترف بها على مستوى آخر، ذلك من خلال استغلالنا لها لنقل مقاصدنا إلى المتلقي.

جاء في الرواية الحوار التالي، وهو حوار جرى بين رجل جلس بجانب "خالدة" وهي، كما تقول الروائية، (**كانت تتصفح جريدةً في المطارِ وتقرأ أخبارَ الموتِ، وقلّبتْ الصفحةَ فازدادتْ أخبارُ الموتِ**):

- **الرجل: ((أجريدة هذه أم مقبرة؟))**

- **خالدة: الوطن كلّه مقبرة**[18].

لقد تمّ انتهاك قواعد الحوار في المحادثة السابقة، على النحو التالي:

- **تقرأ أخبار الموت**: اختراق مبدأ الكمّ، حيث إنّ كمية المعلومات التي تمّ تقديمها عن الأخبار التي تقرأها "خالدة" في الجريدة التي كانت تتصفحها ناقصة، اكتفت الساردة بالإشارة إلى أنّ ما تقرأه "خالدة" يتعلّق بـ (**أخبار الموت**)، وهي تقصد أنّ الجريدة تتحدّث عن شبح مستقر بين الناس، تُنشَر أخباره يوميا في وسائل الإعلام وهو **الموت**، فالوضع مؤلم جدا، حيث لا يتوقف الإرهاب عن سفك دماء المواطنين يوميا، وهذا هو المقصود من العبارة، لكن المعلومات المقدمة قليلة جدا، وبانتهاك قاعدة الكم، يجاوز المتكلم المعنى الحرفي للحوار إلى معنى مستلزم، يستدل عليه المتلقي باعتماد معطيات السياق ومعارفه السابقة وقدراته الذهنية.

- **قلبت الصفحة فازدادت أخبار الموت**: هنا تمّ اختراق مبدأ الكيف، الذي يمنع قول الكذب وما لا يمكن تقديم دليل عليه، حيث تشير المؤلفة إلى أنّ "خالدة" كانت تقرأ في الجريدة أخبار الموت، وحين قلبت الصفحة ازدادت أخبار هذا الشبح، فهي تقرّ بما لا دليل عليه في الحوار، والمعنى الضمني للعبارة السابقة هو أنّ صفحات الجريدة كلها تتحدث عن ضحايا الإرهاب، عن عشرات الأرواح التي تُزهق يوميا في كثير من المدن الجزائرية، فتكتظ صفحات الجرائد اليومية بتفاصيل تلك الجرائم الشنيعة التي يتعرض لها الأبرياء في مختلف أرجاء الوطن، وبالتالي، فقد تجاوزت الأدبية المعنى الحقيقي، الذي اختصرته في عبارة مجازية، يبدو في السطح أنّ الساردة غير صادقة، لكن ذلك ما هو إلاّ اختراق لمبدأ الكيف.

- **أجريدة هذه أم مقبرة؟** سؤال يخترق قاعدة الكيف، حيث إنّ الرجل لم يكن صادقا حين تظاهر بأنّه لا يعرف إذا كان ما تمسكه خالدة جريدة أم مقبرة، فالاستفسار عن الأمر هو المعنى الحرفي للمقطع السابق، لكن المتلقي يدرك بفضل قدراته الاستدلالية وسياق الحوار أنّ الرجل لا يستفسر، وإنّما يتعجّب من كثرة الاغتيالات، واكتظاظ صفحات الجرائد اليومية بصور ضحايا الإرهاب، لدرجة أنّ منظر بعض تلك صفحات يحاكي منظر المقبرة، وهو المعنى المقصود الذي استلزمته كاتبة الحوار وهي تخترق به قاعدة الكيف، وتتجاوز المعنى الظاهري للحوار، وهو الاستفهام، من أجل غرض آخر وهو التعجب واستنكار الأحداث.

- **الوطن كلّه مقبرة**: اختراق مبدأ المناسبة، لأنّ جواب خالدة لا يناسب السؤال الذي طُرح عليها. فالرجل قد استفسر عمّا إذا كان ما تمسكه المرأة جريدة أم مقبرة، وإذا بها تردّ عليه بجواب غريب لا علاقة له بالسؤال المطروح إذا ما تمّ الأخذ بالمعنى الحرفي للعبارة (الوطن كلّه مقبرة)، لكن المتحدّثة اخترقت قاعدة المناسبة، لتستلزم معنًى ضمنيا يستنتجه المتلقي من خلال سياق الحوار وباعتماد قدراته الذهنية على الاستدلال، وهو: لا تتعجب ممّا ورد في الجريدة، فرائحة الموت تفوح في كلّ مكان، والجرائم تمتدّ إلى كلّ فئات المجتمع؛ كبارا وصغارا، رجالا ونساء، مثقفين وأميّين... لقد أدخلت الحرب الأهلية الوطن كلّه في دوامة.

خاتمة

حدّد غرايس قواعد الحوار ممَّا ساعد على الكشف عن القيمة التّداولية للكلام، وميّز بين المعنى الصّريح والمعنى الضّمني، وبين الفهم والتأويل، كما ميّز بين الدّلالة الطبيعية والدّلالة غير الطبيعية، وركّز اهتمامه على الثانية، لأنّ من خلالها يقصد القائل شيئا ما، وينوي التأثير بملفوظه في المتلقي. وما يهمّ غرايس من التّواصل اللّغوي هو فهم وتأويل المتلقي لمقاصد المتكلّم، لذا أدرج في دراسته ما سماه بالاستلزام الحواري ومبدأ التعاون، إذ لا يمكن للمتكلّم، حسبه، أن يؤوّل معنى الأقوال إلاّ باحترام قواعد التّخاطب، وليس احترام قواعد التّخاطب هو الأساس عنده، بل كيفية استغلالها، مميّزا بين الدلالة اللغوية الحرفية للقول والاستلزام الحواري، وهو ما تمّ تبليغه (أي تأويل القول)، وطريقة التبليغ في هذه الحالة هي حوارية، تستدعي استلزاما حواريا، ويتولّد هذا الاستلزام، حسب غرايس، عن طريق الاستدلال.

تُعتبر النصوص الأدبية الخطابات الأكثر انتهاكا لقواعد الحوار، يمنح المبدع من خلالها فرصا للمتلقي لتأويلها والكشف عمّا تستلزمه من مقاصد، مستثمرا معطيات السياق وقدراته المعرفية والذهنية للاستدلال عن تلك المقاصد. لقد اخترقت شخصيات رواية "تاء الخجل" في معظم حواراتها قواعد الحوار، وقد استهدفت الروائية "فضيلة الفاروق" من وراء ذلك إحداث التأثير في نفسية القارئ، ودفعه إلى البحث وراء القوة الإنجازية الحرفية لملفوظاتها عن المعاني التداولية التي تنقل مقاصد عميقة حول الممارسات البشعة في الجزائر خلال العشرية السوداء باسم الإسلام، وحول كلّ القضايا الاجتماعية والثقافية التي طرحتها المؤلفة في روايتها.

الهوامش

[1]- ماهر شعبان عبد الباري: التذوّق الأدبي طبيعته – نظرياته – مقوماته – معاييره – قياسه، دار الفكر، ط 3، عمّان، 2011، ص: 16.

[2]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص: 33.

[3]- فضيلة الفاروق: تاء الخجل، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، 2001، ص: 35.

[4]- محمد مفتاح: دينامية النص (التنظير والإنجاز)، المركز الثقافي العربي، ط 2، الدار البيضاء: 1990، ص: 39.

[5]- آن ريبول وجاك موشلر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: س. د. دغفوس وم. الشيباني، دار الطليعة، ط 1، بيروت: 2003، ص: 53.

[6]- فضيلة الفاروق: تاء نخجل، ص: 11.

[7]- آن ريبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 53

[8]- هشام عبد الله الخليفة: نظرية التلويح الحواري، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط 1، مصر، 2013، ص: 26.

[9]- جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، (كتاب إلكتروني) ط1، شبكة الألوكة www.alukah.net 2015، https://ebook.univeyes.com/105411، ص30.

[10]- فضيلة الفاروق: تاء الخجل، ص: 12.

[11]- يحي رمضان: "الاستدلال اللغوي عند الأصوليين: مقاربة تداولية"، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، المجلد 19، العدد 73، يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، الأردن، 2013، ص: 115.

[12]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص: 33، 34.

[13]- آن ريبول وجاك موشلر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 55.

[14]- بول غرايس: "المنطق والمحادثة" تر: محمّد الشيباني وسيف الدين دغفوس، ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج 2، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، ط 1، قرطاج، 2012. ص: 618

[15]- آن ريبول وجاك موشلار: علم جديد في التواصل، ص: 57.

[16]- بول غرايس: المنطق والمحادثة، ص: 619، 620.

[17]- المرجع نفسه، ص: 621، 622.

[18]- فضيلة الفاروق: تاء الخجل، ص: 95، 96.

المراجع

1- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم ـ علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمّد الشيباني دار الطليعة، ط 1، بيروت، 2003.

2- بول غرايس: "المنطق والمحادثة"، تر: محمّد الشيباني وسيف الدين دغفوس، ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج 2، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، ط 1، قرطاج، 2012.

3- فضيلة الفاروق: تاء الخجل، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، 2001.

4- ماهر شعبان عبد الباري: التذوّق الأدبي طبيعته – نظرياته – مقوماته – معاييره – قياسه، دار الفكر، ط 3، عمّان، 2011.

5 - محمد مفتاح: دينامية النص (التنظير والإنجاز)، المركز الثقافي العربي، ط 2، الدار البيضاء، 1990.

6- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية، 2002.

7- هشام عبد الله الخليفة: نظرية التلويح الحواري، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط 1، مصر، 2013.

المجلات

8- يحي رمضان: "الاستدلال اللغوي عند الأصوليين: مقاربة تداولية"، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، المجلد 19، العدد 73، يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، الأردن، 2013.

المواقع الإلكترونية:

9- جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، (كتاب إلكتروني) ط1، شبكة الألوكة www.alukah.net 2015، https://ebook.univeyes.com/105411